المحاضرة الثانية

الميزان الصرفي

تواضَع علماء اللُّغة على اتخاذ المعيار "فعل" قالبًا، يَصبُّ فيه أو يُقاس عليه كل ما مِن شأنه أن يَقبل القِياس، أو يخضع للوزن. وكلمة "فعل" كانتِ الأساس الذي بُنِيَت عليه كلُّ الموازين السابقة، كالوزن العروضي والوزن التصغيري والميزان الصرفي، مِن خلال ثلاثة أحرُف (ف ع ل) لبيان الأحوال المختلِفة للكلمة المراد وزْنها، مِن حيث:

- عدد حروفها وترتيبها.
- ما يُصاحِب الحروف مِن حرَكات وسَكَنات.
- بيان الأصْلي والزائد مِن هذه الحروف.
- بيان المقدَّم والمؤخَّر مِن أحرُفها الأصلية.
- بيان المحذوف منها ومكان حذْفه.
- بيان أصول الحروف المتبقيَّة منها.

فكيف نميز في "الكلمة" بين الأصلي والزائد؟ تحقيقا لهذه الغاية، على ابتداع علماء الصرف أداة لوضع تمثيل صوري مجرد للبنية أو للصيغة التي بنيت عليها الكلمة، حيث "قابلوا به في التمثيل من الفعل والموازنة له فاء الفعل وعينه ولامه. وقابلوا بالزائد لفظه بعينه في نفس المثال المصوغ للاعتبار، ولم يقابلوا به فاء الفعل، ولا عينه، ولا لامه، بل لفظوا به البتة". (التصريف الملوكي، ط1، (د.ت)، ص 5-6).

شرح ابن يعيش وجهة نظر ابن جني حين أوضح أن علماء الصرف "جعلوا للكلم مثالا كالميزان، قابلوا الأصل فيه بالفاء والعين واللام. وجاؤوا بالزائد نفسه البتة محكيا، ويكون نظم الحركات والسكون في المثال كنظمها

في المُمَثَّل. وذلك نحو قولك "ضَرَبَ"، فالضاد فاء، وهي أصل أول، والراء عين وهي أصل ثان، والباء لام وهي أصل ثالث. ووزن الكلمة لذلك "فَعَلَ"" (ط 1973، ابن يعيش، ص 113).

لقد مكنتهم هذه الصياغة الصورية للبنى الصرفية؛ المجردة منها أو المزيدة، من استخراج لوائح محدودة للصيغ مقابل اللوائح اللامحدودة للكلمات؛ فتعدد التأليفات المعجمية للحروف الأصول تحتاج أن تصهر مع التأليفات المحدودة على مستوى الصيغ أو البنى الصرفية لإنتاج الكلم.

ولما كانتْ هناك كلمات رباعيَّة الأصول وخماسيتها؛ فقدْ زادوا على (فعل) لامًا ثانية، فأصبح (فعلل) للرُّباعي المجرَّد، ولامًا ثالثة، فأصبح الوزن (فَعْلَلَّ) أو (فَعْلَلِل) للخُماسي المجرَّد، نحو: "جَحْمَرِش" (للمرأة العَجوز).

يقول محمد الأنطاكي (المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج1، ط3، بيروت، ص 145): "الميزان الصرفي يجب أن يكون تخطيطا لتصميم الكلمة، يظهر ما فيها من أصول وزوائد...لا أن يكون معادلا موسيقيا للكلمة الموزونة، إذ كثيرا ما تتعادل كلمتان موسيقيا وتختلفان تصميما، فيختلف كذلك وزنهما؛ مثل: اِشْتَدَّ واِحْمَرَّ، فميزان الأولى افتعل، والثانية افعلّ، لأن الأولى مصممة من شدّ، مع زيادة همزة وتاء، والثانية من حَمِر، مع زيادة همزة وتضعيف اللام."

والسِّمة الأساسيَّة التي تُحرِّك الميزان الصَّرْفي، هي البحْث عن أصْل الكلمة وتحديدُها، إلا أنَّ ذلك الأصْل قد يكون فرضيًّا، ومع ذلك فقد أصرُّوا على استعمالِه، سواء أكان موافقًا للاستعمال اللُّغوي أم غير موافِق له.

قال ابن جني في (الخصائص) في"باب مراتب الأشياء، وتنزيلها تقديرا وحكما، لا زمانا ووقتا" ص 257: "هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من

يسمعه. وذلك كقولنا: الأصل في قام قَوَمَ، وفي باع بَيَعَ، وفي طال طَوُلَ، وفي خاف ونام وهاب، خَوِفَ ونَوِمَ وهَيِبَ، وفي شدَّ شدد وفي استقام استقوم، (...) فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها قد كان مرّةً يقال،(...) وإنما معنى قولنا: إنه كان أصله كذا، أنه لو جاء مجيء الصحيح ولم يُعَلّلَ لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا. فأما أن يكون استُعْمِلَ وَقْتًا من الزمان كذلك، ثم انصُرِف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر".

طريقة الوزن:

وإذا انتقلنا إلى الجانب التطبيقي لفحص كيفية اشتغال الميزان الصرفي، فإنه يُفْصَل في الوزن في الكلمات الزائدة عن ثلاثة أحرف بين الزيادة الأصلية وغير الأصلية.

فإن كانت زيادتها ناشئة من أصل وضع الكلمة على أربعة أحرف أو خمسة زدت في الميزان لاما أو لامين على أحرف (ف.ع.ل)، فتقول في وزن طَمْأَنَ (فَعْلَلَ)، ودِرْهَم (فِعْلَل)، وقِمَطْر(فِعَلّ). ومما تزاد فيه لامان نحو: غَضَنْفَر(فَعَلَّل) وزَبَرْجَد.

وإذا كانت الزيادة ناشئة من تكرير حرف من أصول الكلمة كررت ما يقابله في الميزان، نحو: سَبَّحَ (فَعَّلَ) وجَلْبَبَ (فَعْلَلَ).

تقول دة خديجة الحديثي ص (91):" وهم إنما زادوا في الرباعي والخماسي على حروف (فعل) حرفا أو حرفين من جنس (اللام) لأنهما طرف، ولأنهم بصدد أن يزيدوا بعد الآخر، فكررت اللام لقربها من الطرف".

ولا بد من الإشارة إلى أن هذا مذهب البصريين الذين يرون أن للمجرد رباعيا وخماسيا، أما الكوفيون فإنهم يقصرون المجرد على الثلاثي في الأسماء والأفعال، ويجعلون ما زاد فيها على الثلاثة من الزوائد، مع اختلاف؛ فمنهم من يقابل الزائد بلفظه نحو: وزن (جَعْفَر) على (فَعْلَر)، ومن يكرر اللام (فَعْلَل).

الزيادة عن الثلاثة غير أصلية وغير مكررة:

- تزن الأصول فقط بما يقابلها في الميزان؛
- ثم تزن الحروف الزائدة كما هي في مكانها داخل الميزان؛
- ثم يضبط الوزن بالضبط نفسه (الحركات).

-الزيادة من حروف الزيادة: (سألتمونيها): نقول: (فاتَحَ = فاعَلَ) – (انْفَتَحَ = انْفَعَلَ) – (افْتَتَحَ = افْتَعَلَ) – (تَفَتَّحَ = تَفَعَّلَ) – (اسْتَفْتَحَ = اسْتَفْعَلَ).

-إذا كان التضعيف بتكرار الحرف في غير موضعه، نحو: (اخْشَوْشَنَ، اعْشَوْشَبَ)، نقول (افْعَوْعَلَ) بتكرار العين في مواضع تكرار هذه الحروف (بعد الواو).

- إذا زيدت تاء الافتعال: نحو: (ازدهر – اصطنع – اطَّلع – اضطرب – اصطبر)، توزن على حسب أصلها على التوالي: (ازتهر – اصتنع – اطتلع – اضترب – اصتبر)، على: افتعل، من (زهَر – صنع – طلع – ضرب - صبر).

-**إذا وقع في الكلمة حذف**، فإنها توزن بحسب طبيعتها الجديدة، نحو:

قُمْ (فُلْ) - بِعْ (فِلْ) - صِفْ (عِلْ) – اعْفُ (من الفعل عَفى) (افْعُ) – قِ (من الفعل وَقى) (عِ) - عِ (من الفعل وَعى) (عِ)- (صِفْ – اسْعَ – ارْمِ ...)

- **إذا وقع في الكلمة تغيير للحرف بالإعلال**، يوزن ذلك الحرف حسب أصله:

قالَ = (أصلها قَوَلَ) فَعَل - باعَ = (بَيَعَ) فَعَل - رَمى = (رَمَيَ) فَعَل - دَعَا = (دَعَوَ) فَعَل - دارَ = (دَوَرَ) فَعَل...

-إذا وقع في الكلمة تغيير في مواقع الحروف **(القلب المكاني):** ويقصد بالقلب المكاني تغيير ترتيب الفاء والعين واللام في الكلمة، بتقديم العين على الفاء، أو اللام على العين أو الفاء. فلابد حينها أن يطابق الميزان الأصل، نحو: اضْمَحَلَّ ومقلوبه (امْضَحَلَّ) – اكْفَهَرَّ ومقلوبه (اكْرَهَفَّ) – عَميق عند الحجازيين ومَعيق عند التميميين – شائِك (شاكٍ) – وُآر (أُوار) – يَئِسَ (أَيِسَ) - والتفصيل فيه كالآتي.

يقع القلب لاعتبارات صرفية، أو صوتية، أو لضرورة، أو لغةً.

السؤال هو: كيف نعرف أن هناك قلبا مكانيا؟

من خلال:

- الاشتقاق؛
- التصحيح مع وجود موجب للإعلال؛
- ندرة الاستعمال؛
- أن يترتب على عدم القلب وجود همزتين في الطرف؛
- أن يترتب على عدم القلب وجود منع الصرف بدون مقتض.

صور للقلب المكاني وتأثير ذلك على الوزن:

- **الاشتقاق**: (ناء) و(نَأى) ومصدره: نَأْي (ناء على فَلَعَ) - (جاه) و(وَجْه) نجِدُ: (وَجاهَة – واجَه- وجيه- توجيه- وِجْهَة)، (جاه على عَفَل)- جمع قوس على (فُعول: قُووس) عبر السيرورات التالية:

قُووس > قُسووٌ > قُسوي > قُسُيي > قِسِيي > قِسِيّ (فُلُوع)- فَعَلَ=عَلَفَ، مثاله: واحد= حادي (حادِو - حادي=عالِف). نجد: قوَّس – تقوّس – أقواس..

- **التصحيح مع وجود موجب الإعلال**: أَيِس (القاعدة: إذا تحرك حرف العلة وانفتح ما قبله قلب ألفا): مقلوب يَئِسَ، كما أنه من مصدره: يَأْس.

- **ندرة الاستعمال**: ج رِئْم على أفعال هو أرآم: يقلب آرام على (أعفال).

- **أن يترتب على عدم القلب وجود همزتين في الطرف**: اسم الفاعل من (جاءَ): جايِئ (قاعدة: إذا وقعت الواو والياء عينا لاسم الفاعل وسبقتا بألف قلبتا همزة) جائئ (قاعدة: لا تتوالى همزتان في نهاية الكلمة) جائيٌ (تستثقل الضمة على الياء) جاءٍ.

- **أن يترتب على عدم القلب منع الصرف بدون مقتضٍ**: (أشياء) لو كانت على (أفعال) لما جاز منعها من الصرف. يرى سيبويه والخليل أن (شيء) جمعت على (فَعْلاء) شَيْئاء، ثم قدمت اللام على الفاء، لذلك توزن على (لَفْعاء).